مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (Journal of Social and Human Science Studies)
جامعة وهران02/ المجلد 11 ع 02 ، 31/ 03/ 2022
ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

نظرية الحرب والسَّلام عند هيجل

The theory of war and peace at Hegel

مطروح فاطمة زهرة * Fatima zohra Metrouh fatimazohra2135@gmail.com	فلسفة	مختبر الفينومينولوجيا وتطبيقاتها- جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان/ الجزائر.
أد. مونيس بخضرة Mounis Bekhadra mounisz@live.fr	فلسفة	مختبر الفينومينولوجيا وتطبيقاتها- جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان/ الجزائر.

DOI: 10.46315/ 1714-011-002-012

الإرسال: 15/ 02/ 2021 القبول: 06/ 06/ 2021 النشر: 31/ 03/ 2022

ملخص :

يعتبر هيجل من أعظم فلاسفة القرن 19، قدم لنا فلسفة أكثر واقعية إذ لا يمكن للفلسفة أن تتجاوز عصرها، ومهمتها تفسير الواقع تفسيرا عقليا هذا التفسير هو إبراز الوقائع المفككة في صورة عقلية مترابطة ترابطا ضروريا، وقد اهتم بعلم السياسة عامة ونظرية الحرب والسلام بصفة خاصة واعتبر الحرب حالة ضرورية بين الشعوب، وأنّها تلعب دورا كبيرا في تاريخها، كما تعمل على توحيد المواطنين وبدونها تفقد الشعوب تدريجيا معنى الحرية وتتمسك بالحياة المادية وحدها، وإذا عاشت الشعوب في سلام زمنا طويلا فإنّها تفقد حياتها ووجودها، وبالتالي فهي أساس تحقيق الدول لسيادتها كما ترفع من الروح المعنوية للأفراد وهم يدافعون عن وطنهم.

كلمات مفتاحية: هيجل؛ الحرب؛ السلام؛ الدولة؛ فلسفة: عقل.

Abstract:

Hegel is one of the greatest philosophers of the 19th century. He priced us a more realistic philosophy. He considered war as a necessary condition among people and plays a great role in its history, and works to unite citizens and preserve the moral heath of peoples, and without them gradually lose the sense of freedom and adhere to material life alone, and if peoples lived in peace for a long time, they lose their lives and existence and therefore are the structure for achieving states to their sovereignty when they explained the morale of individuals as they defend their homeland.

Keywords: Hegel; War; Peace; State; Philosophy; Mind.

*- الباحث المُرسل: fatimazohra2135@gmail.com

مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (Journal of Social and Human Science Studies)
جامعة وهران02/ المجلد 11 ع 02 ، 31/ 03/ 2022
ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

مقدمة:

شغلت مشكلة الحرب والسلام أذهان المفكرين والمصلحين والفلاسفة منذ أقدم العصور حتى يومنا الراهن، وكان أمل العيش في سلام يراود الفكر البشري منذ مغامراته الأولى، وقد حاول الإنسان إقامة السلام بين الدول منذ فجر التاريخ، واستمرت جهودهم في محاولاتهم للسعي نحو تحقيق أمل البشرية في السلام سواء في الشرق أو الغرب، وكان هناك اختلاف بين المفكرين والفلاسفة في تقديم ظاهرة الحرب وتحديد وظيفتها الاجتماعية والتاريخية، وهذا لا شك مرتبط بالظرف التاريخي والحضاري الذي كان يعيشه كل مفكر وفيلسوف في عصره، فمنهم من كان يدعوا إلى السلام الدائم وهناك من كان يدعوا إلى ضرورة الحرب، ومن بين الفلاسفة الذين تناولوا هذه المشكلة نجد الفيلسوف الألماني جورج فلهم فريديريك هيجل(1770-1831) وهو أعظم فلاسفة القرن19، وكانت له نظرية ورؤية في الحرب وفي جهود البشر نحو السلام، فقد ذهب إلى أن "حلم السلام الدائم" وهم لا يمكن تحقيقه، لكن ذلك لا يعني تمجيد الحرب أو الدعوة إليها، وكما هو معروف حول فلسفة هيجل إذ نجده دائما يفسر الظواهر تفسيرا عقليا، كذلك فسّر الحرب تفسيرا عقليا، كما يقرّ بوجود علاقة بين الدولة والحرب والمتمثل في السيادة، لأنّ الحرب في نظر هيجل من شأن الدول وليس الأفراد، فالدولة قد تضطرّ للحرب للمحافظة على سيادتها التي تحقّق لها التمايز والاختلاف عن بقية الدول الأخرى، ولا شكّ أنّ الحرب عند هيجل مرتبطة بالحركة والنشاط وأن السلم الدائم قد يخنق الإرادة، من هنا نتساءل ما هي نظرية هيجل حول الحرب والسلام؟ وكيف فسّر هذه الأخيرة تفسيرا عقليا؟ وهل تحمل الحرب عند هيجل قيمة سلبية أم إيجابية؟ وهل هي ضرورية عنده؟

مفهوم الحرب والسلام:

جاء في لسان العرب أ نّ "الحرب نقيض السلم، أنثى وأصلها الصفة كأنها مقابلة حرب وتصغيرها حريب بغير هاء رواية عن العرب لأنها في الأصل مصدر...تحمل على معنى القتل أو الهرج وجمعها حروب. ويقال: وقعت بينهم حرب...وقد أنثوا الحرب لأنهم ذهبوا بها إلى المحاربة. وكذلك السلم، والسلم يذهب بها إلى المسالمة فتؤنث. ودار الحرب: بلاد المشركين الدين لا صلح بينهم وبين المسلمين. وقد حاربه محاربة وحرابا وتحاربوا واحتربوا وحاربوا...ورجل حرب ومحرب بكسر الميم ومحراب: شديد الحرب، شجاع. وقيل: محرب ومحراب: صاحب حرب. وقوم محربة ورجل محرب أي محارب لعدوه، معروفا بالحرب عارفا بها. وأنا أحرب لما حاربني أي عدو لمن عاداني.

والحرب بالتحريك: أن يسلب الرجل ماله، حربه يحربه إذا أخذ ماله الحرب أن يؤخذ ماله كله. والحريب الذي سلب حريته وتباع داره وعقاره. المحروب: حرب دينه أي سلب دينه. والحرب بالتحريك: نهب مال الإنسان وتركه لا شيء له. والحارب المشلّح أي الغاضب الناهب الذي يعزي الناس ثيابهم. وحرب الرجل: اشتد غضبه. وحربت عليه غيري أي أغضبته.

التحريب: التحريش فخلفتني بنزاع وحرب أي بخصومة وغضب... (ابن منظور، 1994، 302-305)

الحرب: هي مواجهة مسلحة بطرد مستوطنين في منطقة من أجل تأسيس السيادة (Michel blay, 2005,466)

السلم: هو حالة استقرار وهدوء على المستوى الفردي والجماعي **(** Michel blay, 2005, 767 **)**

مفهوم الجدل:

لغة: كلمة الجدل الألمانية Dialectik مشتقة من الكلمة اليونانية Dialktike (Techné) وهي مأخوذة من كلمة Dialegeshia "يحاور" وهي أصلا " فن الحوار" (أنوود، مخائيل، 162)

وقد وردت كلمة الجدل في معجم صليبا: " في الفرنسية Dialectique، في الإنجليزية Dialectic وأصله في اليونانية Dialektiké -جدل جدلا اشتدت خصومته، وجادله مجادلة وجدالا ناقشه وخاصمه، وفي القرآن الكريم في قوله تعالى: " وجادلهم بالتي هي أحسن"(صليبا، جميل، 1982، 391)

جاء في لسان العرب الجدل: هو اللدد في الخصوم والقدرة عليها، وقد جادله مجادلة وجدالا. ورجل جدِل ومجدل ومجدال: شديد الجدل. ويقال: جادلت الرجل فجدلته جدلا أي غلبته. ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام، وجادله أي خاصمه مجادلة وجدالا، والاسم الجدل وهو شدة الخصومة. وفي الحديث: ما أوتي الجدل قوم إلّا ضلوا، الجدل: مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة، والمراد به في الحديث الجدل على الباطل وطلب المغالبة به لإظهار الحق فإن ذلك محمود لقوله عز وجل:" وجادلهم بالتي هي أحسن"، ويقال: إنه لجدل إذا كان شديد الخصام (ابن منظور، 1999، 212)

اصطلاحا: عرفه ابن حزم: " إخبار كل واحد من المختلفين بحجته، أو بما يقدر أنه حجته، وقد يكون كلهما مبطلا، وقد يكون أحدهما محقا والآخر مبطلا، إما في لفظه، وإما في مراده، أو في كليهما، ولا سبيل أن يكونا معا محقين في ألفاظهما ومعانيهما"(ابن حزم، 45)

وعرفه الجرجاني بأنه:" دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة" (الجرجاني، 1405، 67)

مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (Journal of Social and Human Science Studies)
جامعة وهران02/ المجلد 11 ع 02 ، 31/ 03/ 2022
ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

فلسفة التاريخ عند هيجل:

" فلسفة التاريخ" عند هيجل يمكن النظر إليها بمنظورين أساسيين:

المنظور الأول: هي دراسة لمناهج البحث، أي طرق الكتابة التاريخية وكيفية التحقق من صحة الوقائع التاريخية، والكشف عن مدى صدق الوقائع ومناقشة فكرة الموضوعية في التاريخ ...وهذا ما يسمى أحيانا بالنشاط التحليلي للفلسفة.

المنظور الثاني: وهو النشاط التركيبي، إذ لا يدرس فيه الفيلسوف مناهج البحث في التاريخ وإنّما يقدم وجهة نظر عن مسار التاريخ ككلّ.

وقد قام هيجل بدراستهما، كما حدد المناهج المختلفة التي يمكن أن يكتب بها التاريخ وحصرها في ثلاثة وهي: التاريخ الأصلي، والتاريخ النظري، والتاريخ الفلسفي.

أولا: التاريخ الأصلي: "وهو ذلك التاريخ الذي يكتبه المؤرخ وهو يعيش أصل الأحداث ومنبعها فهو ينقل ما يراه أمامه أو ما سمعه من الآخرين كما هو"(هيجل، ف، 2007، 32)

ثانيا: التاريخ النظري: المؤرخ في هدا اللون لا يقف عند احداث عصره وما شاهده بنفسه، وانما يعرض لتاريخ امّة من الامم او عصر من العصور يجاوز عصره، فيقوم بجمع المادة التاريخية وتصنيفها (هيجل، ف، 2007، 110-113)، وفي هدا النوع تظهر طريقة المؤرخ وأسلوبه في عرض الوقائع، وتفسيره لبواعثها فلكل طابعه الخاص الذي يتميز به.

ثالثا: التاريخ الفلسفي: وهو حسب هيجل" دراسة التاريخ من خلال الفكر"(هيجل، ف، 2007، 40)، فما يميز البشر هو الفكر أو الوعي أو العقل أو الروح، كما يذهب إلى أن التاريخ الحقيقي للإنسان لا يبدأ إلا مع ظهور الوعي، لأن التاريخ هو تاريخ الإنسان والفكر هو الخاصية التي تميزه عن الحيوان.

وما يقصده هيجل بالدراسة الفلسفية للتاريخ أو معنى فلسفة التاريخ هو أنّ: "الفيلسوف لا يبحث عن الوقائع التاريخية وجمع المعلومات والمادة والوثائق وما إليها، وينحصر دور المؤرخ الفلسفي في تفسير أحداث التاريخ" (هيجل، ف، 2007، 42)، والفكرة الوحيدة التي تجلبها الفلسفة معها وهي تدرس التاريخ هي الفكرة البسيطة عن العقل التي تقول: "إنّ العقل يسيطر على العالم، وإنّ تاريخ العالم يمثّل أمامنا بوصفه مسارا عقليا"(هيجل، ف، 2007، 42)

فما تقدمه الفلسفة إلى الدراسات التاريخية حسب هيجل هي فكرة "أنّ العقل يحكم التاريخ"، وهذه الفكرة قديمة قدم الفلسفة اليونانية وشائعة شيوع الدين نفسه وعلى ضوء هدا يسوق

هيجل صورتين لهذه الفكرة: الصورة الفلسفية، والصورة الدينية ويمكن ان نوجزها على النحو التالي:

1-الصورة الفلسفية: هي تلك الصورة التي قال بها الفيلسوف اليوناني "أنكساغوراس" في عبارته الشهيرة "أن النّوس يحكم العالم"، Hegel,64)وما يعنيه هنا أن الطبيعة تجسّد للعقل، وأنّها تخضع دوما لقوانين كلية.

2-الصورة الدينية: هي تلك الصورة التي تقول أن أحداث العالم لا تترك للمصادفات والعلل الخارجية العرضية وإنما هناك "حكمة إلهية" أو "تدبير إلهي" أو "عناية إلهية" توجّه العالم، ومن هنا فكلّ ما يحدث في العالم يحدث طبقا لخطّة إلهية وهي خطة خافية عن أعيننا (إمام عبد الفتاح إمام، 1970، 160).

وقد فسّر هيجل فكرته أن العقل يحكم التاريخ انطلاقا من عناصر أساسية وهي:

أولا: طبيعة الروح أو ماهية العقل: يقول هيجل: "إنّ طبيعة الرّوح عكس طبيعة المادة، فإذا كانت ماهية المادة الثقل فإن ماهية العقل هي الحرية" (هيجل، ف، 2007، 48)

وما يقصده هيجل بالحرّية: "التعيّن الذّاتي أو التحديد الذاتي أو الاستقلال، فأنت حرّ بمقدار ما تكون مستقلا لا تعتمد في وجودك على شيء آخر خارج ذاتك، فالروح لكي تكون حرة حرية أصيلة لا بدّ أن تعتمد على نفسها فقط، فلا بدّ أن تكون هي الذات والموضوع في آن معا"(هيجل، ف، 2007، 48)، وبالتالي فتاريخ العالم حسب هيجل ما هو إلاّ صراع الروح للوصول إلى الوعي الذاتي، وكلّ مرحلة من مراحل سيره تمثّل درجة معيّنة من درجات الحرية.

وأوّل مرحلة تبدأ منها الروح هي العالم الشرقي: الصين، الهند، وفارس ومصر، وقد تميّزت هذه المرحلة بأنّ المواطنين جميعا هم عبيدا للحاكم، وهو وحده المستقل والحر، غير أنّ هيجل ينبهنا هنا إلى أنّ حرّية الحاكم لم تكن تعني سوى انسياقه وراء أهوائه وانفعالاته، فهي ليست تعيّنا لذاته ولا تعبيرا عن ماهيته الحقّة، ومن تمّ كان هذا طاغية لا إنسانا حرا.

أما المرحلة الثانية فتمثلها الحضارة اليونانية والرومانية حيث نجد أن نطاق الحرية قد اتسع عما كان عليه عند الأمم الشرقية، فاليونان وكذلك الرومان قد عرفوا أن البعض أحرار، وهذا البعض هو المواطن اليوناني أو الروماني أما المواطنون في الأمم الأخرى فقد كانوا ينظرون إليهم على أنهم "برابرة" أو "همج" ولهذا اتخذوا من أسرى الحرب عبيدا وأرقاء.

أمّا المرحلة الثالثة فتمثلها الأمم الجرمانية فقد كانت أول الأمم التي تصل إلى الوعي بأن الإنسان بما هو إنسان حر، وأن حرية الروح هي التي تؤلف ماهيتها، وأول ظهور لهذا الشعور كان في قلب الدين والذي يمثل أعمق منطقة للروح.

ثم يتحدث عن الوسائل التي تستخدمها الروح لكي تتحقق بالفعل في العالم:

يقول هيجل: "إنّ الروح تكون في الأصل أشبه بالبذرة، أعني جوانية غير متطورة، ثم تبدأ في تطوير نفسها شيئا فشيئا مستخدمة في ذلك وسائل هي على العكس خارجية وظاهرة تتمثل في التاريخ أمام أنظارنا"(هيجل، ف، 2007، 50)

و يرى أن أول نظرة إلى التاريخ تقنعنا أن أفعال الناس تصدر عن حاجاتهم وانفعالاتهم ومصالحهم الخاصة، والتي تمثل المنابع الوحيدة للسلوك، وعلى هذا فإن محرك التاريخ حسب هيجل هو إشباع الرغبات الأنانية باعتبارها أكبر منابع السلوك أثرا، "وليس من شك أنّ حاجات الأفراد ومصالحهم هي الدافعة إلى كل سلوك تاريخي، وأنّ تحقيق الفرد هو الذي ينبغي أن يحدث في التاريخ ..."(ماركيوز، هربرت، 229)، كما ينبهنا إلى أن الفكرة تتحقق باستمرار عن طريق ضدّها، فالتّاريخ هو حركة جدلية بين الأضداد، ولمّا كان المبدأ أو الغاية أو طبيعة الروح شيء مجرد وعام وكلي، أو هو وجود من أجل ذاته، فهو يحتاج إلى عامل آخر يحوله من الإمكان إلى التحقيق الفعلي، وهذا العامل يتمثل في الإرادة، ويعني بها فاعلية الإنسان التي بها تتحقق الفكرة، مثلما تتحقق الخصائص المجردة بصفة عامة، وتنتقل إلى حيز الفعل.

وأخيرا نصل إلى الشّكل الذي تتحقق فيه الروح: يتمثل هذا الشكل في الوحدة بين الجانب الذاتي والجانب الموضوعي وهذه الوحدة حسب هيجل لا تتجلى إلا في الكل الأخلاقي أو الدولة فهي وحدها التي يجد فيها الفرد حريته الخاصّة، من هنا فالدولة "هي وحدة الأخلاق الذاتية والأخلاق الموضوعية أو هي التحقق الفعلي للحرّية، إذ فيها تبلغ الحرية مرتبة الموضوعية"(هيجل، ف، 2007، 53)، فالإرادة التي تطيع القوانين وتخضع لها هي وحدها الإرادة الحرة.

كما أنّ طبيعة الإنسان حسب هيجل ليست سوى حالات همجية تسودها الأهواء والانفعالات الوحشية، ولهذا يغلب عليها الظلم والجور، ومن تمّ فإنّ الحدّ من هذه النزوات والمشاعر الأنانية ليست قيدا على الحرية وإنّما هو شرط لازم للتحرر، ولهذا فإن المجتمع والدولة هما الشرطان الأساسيان لتحقيق الحرية على اعتبار أنه يحتاج إلى القانون والأخلاق.

ويصل الإنسان عن طريق الدّين إلى الوعي بالروح المطلق، والشّكل الثاني لوحدة الجانب الذاتي والجانب الموضوعي هو الفن أما الصّورة الثالثة من هذه الوحدة فتتمثل في الفلسفة،

فالدّولة حسب هيجل ترتبط ارتباطا وثيقا بالدّين والفنّ والفلسفة يقول في ذلك "إنّ دين دولة ما هو الذي يحدد دستورها ونظمها السياسية، كما ينعكس ذلك على الفن والفلسفة"(هيجل، ف، 2007، 54)، وبالتالي فوجود الدولة وتقدمها السياسي لازم لنهضة العلوم والآداب والفنون، ولا تظهر الفلسفة إلاّ حيث توجد الحياة السياسية، ولهذا فالفلسفة كما يقول هيجل هي: "المرحلة التي يصل فيها العقل الكلي إلى الوعي بذاته، وهي لا تبني مجتمعا من لا شيء، ولا تخلق نظاما من العدم، لأنّ بومة منيرفا لا تبدأ في الطيران إلاّ بعد أن يرخي الليل سدوله..."(هيجل، ف، 2007، 54)، فالفلسفة هي التعبير عن عصرها ملخصا في الفكر، والفيلسوف رجل يبرز الأفكار الأساسية التي يقوم عليها عصره، ويعمل بها الناس دون وعي منهم، ومهمة الفيلسوف عند هيجل هي أن يجعل الناس على وعي بما هو الفن، السياسة، التجارة، والدين حتى يستطيع العقل أن يمارس ويؤثر إلى أقصى درجة وعلى أوسع مدى، وبذلك يصبح مطلقا، وبذلك فالفلسفة عند هيجل: "نشاط يطهر العقل ويحرره" (هيجل، ف، 2007، 55).

كما يشير هيجل إلى أهمّية الموقع الجغرافي للتاريخ، والأثر الذي تتركه عوامل الطبيعة على إنتاج روح شعب ما وأخلاقه، يقول هيجل في هدا الصدد: "قد تبدو الرّابطة بين الروح القومي والطبيعة شيئا خارجيا بالنسبة لعمومية الكل الأخلاقي، وفرديته الخاصّة الفعّالة، لكن من حيث اعتبارها الأرض التي يتحرك الروح عليها، فهي بالضرورة وبالذات القاعدة والأساس ولقد بدأنا بهذا الإثبات، وهو أنه في التاريخ الكلي تتجلى فكرة الروح في الواقع، في سلسلة متتابعة من الصور الخارجية، التي تنكشف كل واحدة منها بوصفها شعبا له وجود حقيقي"(نازلي إسماعيل، حسين، 2004، 128) .

هيجل كذلك يرى أن مسرح التاريخ الحقيقي هو المنطقة المعتدلة، ويستبعد المنطقة المتجمدة والمنطقة الحارة من دراما تاريخ العالم لأنهما ليستا موقعا مناسبا لظهور التاريخ، كما نجده يستبعد العالم "الجديد" أعني أمريكا وأستراليا لأننا لم نعرف شيئا عنهما إلا حديثا.

ويقسّم هيجل المناطق الجغرافية ثلاثة أقسام هي الأرض المرتفعة، ثمّ السّهول الوديانية وأخيرا المنطقة الساحلية وهو يعتقد أنّ القارّات الثلاث تمثّل بصفة عامة هذا التقسيم الثلاثي: فإفريقيا هي الأرض المرتفعة، وآسيا هي منطقة السهول الوديانية وأخيرا تمثل أوروبا المنطقة الساحلية.

فإفريقيا وآسيا توجد بها أراضي مرتفعة تتميّز بوجود سهوب كثيرة تصلح للرعي، ولهذا تظهر فيها الحياة الأبوية البطرياركية التي تغيب فيها العلاقات القانونية بين السكان في هذه المناطق الجبلية، ومن ميزاتهم الكرم وحسن الضيافة من جهة والسّلب والنهب من جهة أخرى.

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

أما منطقة السّهول الوديانية فهي المنطقة التي تتميز بالأرض الخصبة التي تدين بخصوبتها إلى الأنهار كما هو الحال في سهول الصين والهند، وبابل ومصر، وفي هذه المناطق تنشأ الدول والممالك حيث تكون الزراعة هي مصدر الرزق للسكّان.

أما المنطقة الثالثة فهي الأرض الساحلية والتي يعطيها البحر فكرة اللامتناهي، كما أنه يدعو الإنسان إلى الغزو والفتح، وإلى النهب والقرصنة، لكن من جهة أخرى يدعوه إلى التجارة والكسب الشريف، عكس أراضي وسهول الوادي التي تربط الإنسان بالتربة وتشده إليها.

وأخيرا يصنّف هيجل معطيات التاريخ فيرمز لمجرى التّاريخ بمسار الضوء، فكما أنّ الشمس تشرق من الشرق وتغرب في الغرب، فإن آسيا هي بداية التاريخ وأوروبا نهايته، يقول في ذلك: "إنّ تاريخ العالم يتجه من الشرق إلى الغرب، لأن أوروبا هي نهاية التاريخ على نحو مطلق، كما أنّ آسيا هي بدايته"(هيجل، ف، 200، 188)

وتاريخ العالم حسب هيجل ليس إلاّ ترويض الإرادة الطبيعية على الخضوع للنظام وجعلها تطيع المبدأ العام والمراحل التي سارت فيها هذه العملية تبدأ من العالم الشرقي الذي لم يعرف الحرّية إلاّ لفرد واحد ألا وهو الحاكم وهذه المرحلة الأولى يسميها هيجل طفولة التاريخ.

ثم هناك المرحلة التي تمثلها آسيا وهي مرحلة الصبا في التاريخ حيث لا نجدها تعبر عن الهدوء والثقة كما كان يفعل الطفل وإنما هي مرحلة الصبي الذي لا يعرف العراك والشّجار.

أما اليونان فيمثلون مرحلة المراهقة حيث نجد الفرديات التي تشكل نفسها، ولهذا فهنا نجد اتحاد الأخلاق مع الإرادة الذاتية أو مملكة الحرية الجميلة.

أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الدولة الرومانية أو رجولة التاريخ، فالروح اللطيفة التي كانت قائمة في دولة المدينة حلّ محلّها كدح شاق وقاس.

أما المرحلة الرابعة فيمثلها العالم الجرماني، وهي مرحلة الشيخوخة وشيخوخة الروح تعني نضجها وقوتها الكاملة.

الحرب والسلام عبر التاريخ:

شغلت مشكلة الحرب والسلام أذهان المفكرين والمصلحين والفلاسفة منذ أقدم العصور حتى يومنا الراهن، وانقسموا حيالها فريقين:

-فريق رأى حتمية الحرب، بل ومنهم من تطرف ودعا إليها.

-فريق يرى حتمية السلام واعتبروا الحرب وبالا على الناس.

والحق أنّ "أمل السلام" كان يراود الإنسان منذ أقدم العصور وكان الشوق إلى تحقيقه عاما بين البشر، لكن فشلوا في ذلك ومند أقدم العصور، وقد حاول الإنسان إقامة السلام بين الدول منذ فجر التاريخ، فكانت أقدم معاهدة تحالف أبرمها فرعون مصر رمسيس الثاني مع حتيثار ملك الحثيين، ويرجع

تاريخها إلى ق 13 ق.م، وقد اتفقا على إقامة سلام دائم بين الدولتين، غير أنه لم يمنع هذا من الحروب التي كانت تشتعل بين الحين والآخر، ولقد شهدت مدن اليونان حروبا مستمرة رغم الاتفاقيات والمعاهدات بين هذه المدن، حتى أن الإغريق آمنوا بأن الحرب حالة "طبيعية".

وقد كانت الحرب في الميثولوجيا اليونانية أهم من دور السلام، وقد بلور " هيرقليطس" سيادة الحرب هذه في فلسفته عندما ذهب إلى أن طبيعة العالم مركّبة من أضداد، " والحرب أب وملك لكل شيء" وتظهر الأشياء وتختفي عن طريق النزاع "....(أحمد فؤاد الأهواني، 1954)

لكن رغم سيادة الحرب نظريا وعمليا عند اليونان إلا أنه هناك من الفلاسفة الذين كانوا يدعون إلى السلام الدائم. فالرواقيون مند القرن الثالث قبل الميلاد يذهبون إلى أنّه على الإنسانية أن تحرر نفسها مما يفرق بين الإنسان وأخيه من فروق اللغات والأديان والأوطان، ونظروا إلى الناس جميعا وكأنهم أسرة واحدة، قانونها العقل ودستورها الأخلاق (عثمان أمين، 1959،)

ثم وضع الرومان "قانون الشعب" وهو القانون الذي يهدف إلى تنظيم العلاقات بين روما وغيرها من الأمم والشعوب، وقد تطوّر هذا القانون فيما بعد فصار أساسا لفكرة القانون الطبيعي، وهو مجموعة من المبادئ المثالية للعدل وضعت بمثابة قانون يصلح تطبيقه على جميع الشعوب والأجناس، والتي أصبحت فيما بعد من المصادر الأولى للقانون الحديث (غالي، خيري، 1976).

ثم جاءت المسيحية لتدفع بمسيرة السّلام خطوات إلى الأمام ولتبشّر الناس "بالمسرة، وعلى الأرض السلام"، فالجميع يشكلون مجتمع بشريا واحدا تسوده المحبة، لا يفرق بينهم جنس ولا لغة ونادى بولس الرسول في المسيحيين: " سالموا جميع الناس" لأنّ "المحبة هي تكميل الناموس" والبشر أسرة واحدة فقد "عمّدنا جميعا روحا واحدا لنؤلف جميعا جسما واحدا ينتظم اليونانيين والعبيد والأحرار" كما يقول في رسالته إلى أهالي كوزنثه.

إلا أن الدعوة إلى السلام التي جعلتها المسيحية من أهم أسسها لم تجدي نفعا أمام تفكك أوروبا وانقسامها إلى إقطاعيات، وإمارات يحارب بعضها بعضا وبالتالي صارت سلسلة من الحروب المتواصلة فيما بينها، وإن كان ظهور الإسلام وتهديده بانتزاع سيادة العالم من المسيحية ساعد على عودة شيء من الوئام بين الأوروبيين لا سيما بعد وقوع الحروب الصليبية (غالي، محمود، 1976، 302).

وقد لخّص الإسلام موقف الآراء المتعارضة في مشكلة الحرب والسلام عندما دعا في بعض آياته إلى الحرب" قاتلوا المشركين كافة"(سورة التوبة آية 36)، وقوله:" وقاتلوا أولياء الشيطان"(سورة النساء أية 76) وقوله: "قاتلوهم حتى لا تكون فتنة" (سورة الأنفال آية 39، سورة التوبة آية 14). كما يظهر ذلك في قوله: « إنّ الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا" (سورة الصف آية 4)، لكنه شرط ذلك بحالات معينة يقول تعالى: " قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا..." (سورة البقرة آية 190)، ومن هنا فهو

يدعو في غير هذه الحالات إلى السلام يقول سبحانه وتعالى: " يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة" (سورة البقرة آية 208)، وقوله:" وإن جنحوا للسلم فاجنح لها...."(سورة الأنفال آية 61).

واستمرّت جهود المفكرين في محاولاتهم للسعي نحو إقامة سلام دائم بين البشر، سواء في الشرق أو الغرب، فالفارابي (870-950م) فيلسوف الإسلام الأكبر والمعلم الثاني كان يدعو في منتصف القرن العاشر في كتابه "آراء أهل المدينة الفاضلة" إلى إقامة اتحاد يربط بين مختلف دول العالم في ظل ما أطلق عليه اسم " المعمورة الفاضلة".

كما اقترح الشاعر الإيطالي "دانتي اللّجيري" (1265-1321) في القرن الرابع عشر إلى إقامة حكومة عالمية تعترف بها جميع الدول ويخضع لها سكان العالم كلّه. وفي مطلع القرن السادس عشر شنّ الفيلسوف الهولندي والمفكر الإنساني الكبير" أرازموس" .

1536-469) هجوما عنيف على الحرب ووصفها بأنها انتحار جماعي، وكتب عام 1510" دفاع من العقل والدين والإنسانية ضد الحرب"، دعا فيه كل إنسان إلى بدل أقصى ما يستطيع من جهود لوضع حد للحروب، لأن الحرب في نظره تعارض الهدف الذي من أجله خلق الإنسان، لأن الإنسان في رأيه لم يخلق من أجل الدمار والهدم والخراب وإنّما من أجل المحبة والصداقة وخدمة غيره من البشر(إمام عبد الفتاح إمام، 2007، 82)

وفي أواخر القرن السابع عشر وضع الأب دي سان بيير(1658-1743) مشروعا لإنشاء حلف دائم من جميع الدول المسيحية، لحماية أرض كل دولة من الدول المتعاقدة و"حماية أوروبا من أي اعتداء جديد تقوم به دول الإسلام".

وفي نهاية القرن الثامن عشر ظهر مشروع جديد دعا إليه الفيلسوف الألماني كانط (1724-1804) في كتابه" مشروع السلام الدائم" ظهر عام 1795. وبعده ظهر مشروع آخر للفيلسوف الإنجليزي جرمي بنتام(1748-1832) يتضمن الدعوة نفسها..... وهكذا استمرت جهود المفكرين والمصلحين والفلاسفة في السعي نحو تحقيق أمل البشرية في السلام. لكنها باءت بالفشل واشتعلت الحرب العالمية الأولى عام 1914، وقد عادت الدعوة إلى الإصلاح من جديد وكان لصيحتهم صدى تردد في أرجاء العالم، فظهر على أثره أول منظمة عالمية هي" عصبة الأمم" عام 1919، وقد بذلت جهدها لتطبيق المبادئ والقواعد التي تضمنتها مشروعات أهل الفكر ودعاة السلام، غير أنها لم تتمكن من تحقيق الآمال التي كانت معقودة عليها فوقعت الحرب العالمية الثانية عام 1939، وكانت أشد عنفا، فنشط المفكرون ودعاة الإصلاح ورجال القانون مرة أخرى لإقامة منظمة تكون أداة لتحقيق الأمن والسلام فقامت "الأمم المتحدة" عام 1945، وحاولت علاج الثغرات التي وقعت فيها عصبة الأمم، لكنها الأخرى فشلت في تحقيق حلم السلام أيضا، إذ لم تنقطع الحروب بين الدول منذ إنشائها حتى يومنا الراهن.

الحرب والسلام عند هيجل:

لقد تميز عصر هيجل بظهور تيارات مختلفة ومتضاربة في السياسة والأدب والفلسفة، ولهذا لا يمكننا فهم فلسفته إلا بمعرفة أحداث هذا العصر، وتلك نفسها فكرة هيجل الذي يقول في تصديره "لفلسفة الحق": فمهمّة الفلسفة هي أن تفهم ما هو موجود، لأنّ ما هو موجود هو العقل، إنّ مهمّة الفلسفة لتنحصر في تصور ما هو كائن لأن ما هو كائن ليس إلا العقل نفسه ولو أننا نظرنا إلى المسألة من وجهة نظر الفرد لرأينا أن كلا منا هو ابن عصره، وربيب زمانه، وبالمثل يمكن أن نقول عن الفلسفة إنها عصرها ملخصا في الفكر، وكما أن من الحمق أن نتصور إمكان تخطي الفرد لزمانه، فإنه لمن الحماقة أيضا أن نتصور إمكان تجاوز الفلسفة لزمانها الخاص (هيجل، ف، 1994، 116)

وقد سعت الفلسفة الهيجلية إلى تفسير الظواهر بالعالم تفسيرا عقليا، وذلك بالقول: "بأنه لا معيار سوى العقل وقياس النظم الاجتماعية إنما يتم على محك العقل وحده بغض النظر عن أي اعتبار آخر، ومن هنا فليس ثمة عبادة للواقع، بل على العكس هناك دعوة لتغيير هذا الواقع خصوصا إذا كان غير عقلي حتى يتماشى مع العقل. (إمام عبد الفتاح إمام، 1976)، ولما كانت الحرب من إحدى الظواهر البشرية التي لازمت الإنسان مند فجر التاريخ حتى الآن، فقد فسّر هيجل الحرب تفسيرا عقليا فهي لا توجد بشيء "عفوي" أو "طارئ" لا سبب لها، بل لا بد من وجود ضرورة في هذه الظاهرة، فهناك أسباب تؤدي إلى هذه الظاهرة وبالتالي تصبح ضرورة حتمية على الدولة اتخاذ هذه الخطوة للحفاظ على وجودها واستقلاليتها وحريتها، ولما كانت أفعال الناس تصدر عن حاجاتهم وانفعالاتهم ومصالحهم الخاصة، فإن محرك التاريخ حسل هيجل هو إشباع الرغبات الأنانية فهي أكبر منابع السلوك أثرا، كما يرى أن العالم هو التحقق الفعلي والعيني لنشاط الروح وماهية الروح هي الحرية، ومن تم كان مسار التاريخ هو تقدم الوعي بالحرية، لكنها ليست حرية فردية تعسفية، ومعنى ذلك أن التاريخ عند هيجل غائي، فكل ما يحدث له معنى، وله ما يبرره والغائية هي الجانب الموضوعي الذي يمثل الضرورة في هذا المسار، لكن الضرورة لا تعمل وحدها، فهناك الجانب الذاتي الحر للأفراد، ومن ثم كان التاريخ ارتباطا وثيقا بين الضرورة والحرية، والدافع لهذه الحركة هو التناقض الموجود بين الواقع الخارجي وما تريد الروح أن تحققه، يقول هيجل:" إن الروح تكون في الأصل أشبه بالبدرة، أعني جوانية غير متطورة، ثم تبدأ في تطوير نفسها شيئا فشيئا مستخدمة في ذلك وسائل هي على العكس خارجية وظاهرة تتمثل في التاريخ أمام أنظارنا"(هيجل، ف، 2007، 50).

وبالتالي فالحرب ضرورية في حياة الشعوب والدول لان الدول تستيقظ وعيها في حالة الحرب، وتسعى إلى الحفاظ على وجودها، والانتهاكات الخارجية هي مجرد مناسبات للحرب، أما كيف ترد الدولة عليها فذلك أمر يعتمد على ظروفها الداخلية، وليس على الطبيعة الداخلية للانتهاك، فمن المحتمل أكثر أن تسعى الدولة التي ظلت في حالة سلام فترة طويلة إلى فرض الحرب أكثر من الدولة التي لم تنعم بهذه

الحالة (هيجل، ف، 1994، 116) والمجتمع الذي ليس له أعداء في الخارج يهددونه لا يمكن أن يصبح دولة بالمعنى الصحيح، فالدولة لا ينبغي لها فقط أن تريد، وأن تكون قادرة على شن الحرب، بل لا بد لها أن تشن الحرب فعلا إذا ما واتتها الfرصة، ويعتقد هيجل أنه من غير المحتمل أن تظل الدولة جاهزة لشن الحرب إذا لم يكن هناك تهديد خارجي، ويذهب إلى أن الدولة التي تميل للسلم ينشأ فيها الموت أكثر مما يكون نتيجة للحرب. يقول في ذلك:" إن فساد الأمم قد يكون نتيجة لفترة طويلة من السلام، دع عنك السلام الدائم". (هيجل، ف، 1976، 590)، وحجته في ذلك هي أن المواطنون في حالة السلام تمتصهم مصالحهم وشؤونهم الخاصة ويتوقفون عن التوحد مع الدولة، وعندئذ تكف الدولة ذاتها على أن تكون فردا ما لم تعيدهم من جديد إلى الوحدة عن طريق الحرب التي تتطلب من المواطنين أن يكونوا على استعداد للتضحية بحياتهم وممتلكاتهم من أجلها وهي الوسيلة التي تحقق بها الدولة سيادتها يقول هيجل:" تمثل التضحية في سبيل فردية الدولة الرابطة الاساسية بين الدولة وأعضائها، وهي لهذا السبب واجب عام، ومادامت هذه الرابطة جانب واحدمن المثالية في مقابل واقعية الموجودات الجزئية، فقد أصبحت في الوقت نفسه رابطة جزئية، وأولئك الموجودين فيها يشكّلون طبقة خاصة بهم تتسم بالشجاعة" (هيجل، ف، 1976، 591)، وبالتالي فإن الدول تتغلّب على صراعاتها الداخلية عن طريق الحروب الخارجية، كما يعتبر الحرب تذكرة الموت التي تهز الموجودات البشرية وتخرجهم من حدود مصالحهم الذاتية الضيقة، يقول:" تمتد الحياة المدنية في حالة السلم امتدادا موصولا وتستقر جميع مجالاتها، وفي النهاية يصيب الناس الركود، وذلك أن خصائصهم تتحجم شيئا فشيئا، لكن الصحة تقتضي وحدة الجسم، فإذا ما تصلبت أجزاؤه في انطوائية وعزلة فذلك هو "الموت"(إمام عبد الفتاح إمام، 2007، 98)

وليس الهدف من الحرب حسب هيجل التوسع أو الغزو أو السيطرة، لكنها تعمل على توحيد المواطنين وتسقط ما بينهم من حواجز ذاتية، كما أن قوة الدولة في نظره يمتحن في حالة الحرب وقد شبهها هيجل بالمرض بالنسبة للجسم يقول في ذلك:" فإذا هاجم المرض إنسانا فإنه في هذه الحالة وحدها يستطيع أن يتأكد مما إذا كان جسمه سليما، أم لا، فالحرب على هذا الأساس ليست هي الصحة في الدولة وإنما فيها تمتحن صحة الدولة" (إمام عبد الفتاح إمام، 2007، 104)، من هنا فالحرب في نظر هيجل ليست نتيجة كراهية شعب لشعب آخر، ولكنها تحرك حياة الشعوب ولا تجعلها تتكاسل وتستكين، إنها في نظره دليل على الصحة وسلامة الأخلاق، كما أنها قوة سلب هائلة، وإذا ما تأملنا ميتافيزيقا هيجل فإن السلب يرتبط بالإيجاب ارتباطا وثيقا، فإذا كانت الحرب سلبا للمتناهي والمحدود، فإنها كذلك ايجاب لسلطة الدولة اللامتناهية واللامحدودة، فالسلب الذي تنعدم فيه حقوق الأفراد ومصالحهم الشخصية حسب هيجل هو في نفس الوقت اللحظة الإيجابية التي تبرهن على السلطة المطلقة للدولة تجاه كل ما هو

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

فردي وجزئي، وهكذا فإننا نجد هيجل عكس واقع عصره واعترف بالحرب كحقيقة من الحقائق البشرية التي تلعب دورا حاسما في حياة الدول السياسية والاجتماعية.

خاتمة:

لقد تمكّن هيجل من إبراز موقفه من الحرب والسلام واعتبر الحرب ظاهرة ملازمة للإنسان منذ وجوده على هذا الكون إذ دائما يسعى لإثبات وجوده في هذا الكون وذلك بالحفاظ على دولته التي هو جزء منها كما على الأفراد أن يتضامنوا فيما بينهم لحماية مصالحهم من أي خطر خارجي، ولكن رغم المكانة التي يتمتع بها هيجل إلاّ أنّ هناك من الفلاسفة من هاجموه ووجهوا له حملات بالغة العنف خاصة فكرة الحرب إذ هناك من اعتبره ممجّد للحرب وداعية لها، ومن بينهم كارل بوبر الذي يذهب إلى أنّ هيجل يعتقد أنّ القوة هي التي تحرّك العالم كله بما فيه الحياة الاجتماعية للإنسان ومن هنا كانت القوة هي الحق، وكانت الصحة الأخلاقية للشعوب هي نشاطها الحربي واستعدادها للقتال ويستمر بوبر في نقده لهيجل فهو لم يكن عبقريا بل ولا مفكرا موهوبا بل هو مفكر لا يمكن هضمه أسلوبه مخزي وكتاباته تخلو من الأصالة والإبداع فلا شيء في مؤلفاته لم يكتب قبله وبطريقة أفضل ....، وفي المقابل هناك من اعتبر هيجل محافظا بحكم البيئة التي عاش فيها وبالتالي جعل من الحرب جيدة ومفيدة لصحة الشعب الأخلاقية، لكن هيجل لا يدافع عن الحروب المستمرة أو المتواصلة كما أنه لا يعتقد أن الحرب هي أنبل نشاط بشري وهذا ما عبّر عنه بلامیناس في كتابه "الإنسان والمجتمع"، ورغم تضارب الآراء إلا أنه استطاع أن يقدم لنا رؤية عن الحرب واعتبرها شيء إيجابي يحافظ على بقاء الأفراد ويجعلهم في اتحاد مع الدولة ويبعث فيهم الحركة والحماس والشجاعة من أجل تحقيق السيادة .

*****

قائمة المصادر والمراجع:

العربية:

ابن حزم. الإحكام في أصول الأحكام. بيروت: دار الآفاق الجديدة.

ابن منظور. (1994). لسان العرب. (الطبعة الثالثة). بيروت: دار صامد.

ابن منظور.(1999). لسان العرب.(الطبعة الثالثة). بيروت، لبنان: دار إحياء الثراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي.

أحمد فؤاد الأهواني.(1954).فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

إمام عبد الفتاح إمام. (2007). دراسات في الفلسفة السياسية عند هيجل. بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.

أنوود، ميخائيل. معجم مصطلحات هيجل. المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة.

بطرس غالي، محمود خيري. (1976). المدخل إلى علم السياسة. القاهرة.

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

الجرجاني. معجم التعريفات. القاهرة.: دار الفضيلة للنشر.
صليبا، جميل. (1982). المعجم الفلسفي. بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة.
عثمان أمين. (1959). الفلسفة الرواقية. القاهرة: النهضة المصرية.
الفارابي. آراء أهل المدينة الفاضلة. الأزهر: محمد صبيح.
ماركيوز، هربرت. "العقل والثورة": هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية.
نازلي إسماعيل، حسين. (2004). الشعب والتاريخ هيجل. مصر، القاهرة: دار المعارف.
هيجل. (1994). أصول فلسفة الحق، مصر: مكتبة مدبولي.
هيجل. (2007). العقل في التاريخ. بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.
المجلات:
إمام عبد الفتاح إمام. (1976). ثورية المثالية الهيجلية. مجلة الحكمة.
إمام عبد الفتاح إمام.(1970). قاموس المصطلحات الهيجلية في التفكير المعاصر. القاهرة.
الأجنبية:
Hegel, leçon sur l'histoire de la philosophie . gallimard: paris.
Michel blay.(2005).grande dictionnaire de la philosophie. Larous-Cnrs.